

وقوله ^(١) : { يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ٥٥]
 { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } [سُورَةُ النَّسَاءِ : ١٥٨]

(١) من هنا إلى قوله (فستعلمون كيف نذير) فيه الكلام على صفة العلو لله ، وأهل السنة يشتون ذلك أن الله في العلو على الوجه الذي يليق به سبحانه ، وهو من الصفات الذاتية . وهو معلوم من الدين بالضرورة (ولهذا كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين) . درء التعارض ٢٧/٧ .

وأنواع علو الله ثلاثة :

١/ علو قدر .

٢/ علو قهر .

٣/ علو ذات .

— وعلو الله ثابت بالكتاب ، والسنة القولية والعملية والتقريرية ، والإجماع ، والعقل ، والفطرة .

— والفرق بين العلو والاستواء :

١/ أن العلو صفة ذاتية ، والاستواء صفة فعلية .

٢/ أن العلو مطلق ، والاستواء مقيد بالعرش .

٣/ أن العلو ثابت بالنقل والعقل ، أما الاستواء فثابت بالنقل ولا يثبت بالعقل .

— وخالف المبتدعة في علو الذات (أما علو القدر وعلو القهر فهي محل اتفاق) انظر : درء التعارض ٦/٧ .

— قال العثيمين في شرح الواسطية ٣٩٣/١ : (والذين أنكروا علو الله عز وجل بذاته يقولون : لو كان في العلو بذاته ؛ كان في جهة ، وإذا كان في جهة ؛ كان محدوداً وجسماً ، وهذا ممتنع ! والجواب عن قولهم : "إنه يلزم أن يكون محدوداً وجسماً" نقول :

أولاً : لا يجوز إبطال دلالة النصوص بمثل هذه التعليقات ، ولو جاز هذا ؛ لأمكن كل شخص لا يريد ما يقتضيه النص أن يعلله بمثل هذه العلل العلية.

فإذا كان الله أثبت لنفسه العلو ، ورسوله ، صلى الله عليه وسلم أثبت له العلو ، والسلف الصالح أثبتوا له العلو ؛ فلا يقبل أن يأتي شخص ويقول : لا يمكن أن يكون علو ذات ؛ لأنه لو كان علو ذات ؛ لكان كذا وكذا .

ثانياً : نقول : إن كان ما ذكرتم لازماً لإثبات العلو لزوماً صحيحاً ؛ فلنقل به ؛ لأن لازم كلام الله ورسوله حق ؛ إذ أن الله تعالى يعلم ما يلزم من كلامه . فلو كانت نصوص العلو تستلزم معني فاسداً ، لبيته ، ولكنها لا تستلزم معني فاسداً .

ثالثاً : ثم نقول : ما هو الحد والجسم الذي أجلبتم علينا بجيلكم ورجلكم فيها .

أتريدون بالحد أن شيئاً من المخلوقات يحيط بالله؟ فهذا باطل ومنتف عن الله ، وليس بلازم من إثبات العلو لله أو تريدون بالحد أن الله بائن من خلقه غير حال فيهم؟ فهذا حق من حيث المعنى ، ولكن لا نطلق لفظه نفيّاً ولا إثباتاً ، لعدم ورود ذلك .

وأما الجسم ، فنقول : ماذا تريدون بالجسم؟ أتريدون أنه جسم مركب من عظم ولحم وجلد ونحو ذلك؟ فهذا باطل ومنتف عن الله ، لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . أم تريدون بالجسم ما هو قائم بنفسه متصف بما يليق به؟ فهذا حق من حيث المعنى ، لكن لا نطلق لفظه نفيّاً ولا إثباتاً ، لما سبق .

وكذلك نقول في الجهة ، هل تريدون أن الله تعالى له جهة تحيط به؟ فهذا باطل ، وليس بلازم من إثبات علوه . أم تريدون جهة علو لا تحيط بالله؟ فهذا حق لا يصح نفيه عن الله تعالى .

{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } [سُورَةُ فَاطِر : ١٠]
 { يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } { أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ
 مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا } [سُورَةُ غَافِر : ٣٦ - ٣٧]
 { أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ^(١) أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } { أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ
 فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } [سُورَةُ الْمُلْك : ١٦ - ١٧]

(١) أقرب الأقوال في المراد بمعنى "في" هنا أنه يحتمل ثلاثة أمور :
 ١/ أن "في" على ظاهرها بمعنى "الظرفية" , والسماء تكون بمعنى "العلو" .
 ٢/ أن "في" بمعنى "على" التي تفيد الاستعلاء والفوقية , كما في قوله (وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) [طه :
 ٧١] أي على جذوع النخل .
 ٣/ ويمكن أن يكون المعنى (أنه فوق السماء لأن (في) بمعنى فوق قال الله تعالى : (فسيحوا في الأرض) أي :
 فوقها) مجموع الفتاوى ٩٠/١٦ . وهذا مقارب للوجه الثاني .
 وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة بإذن الله .

- قال العنيمين في شرح الواسطية ٣٩٧/١ :
 (فإن قلت: كيف تجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف:
 ٨٤]، وقوله: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ [الأنعام: ٣] ؟ !
 فالجواب: أن نقول:
 أما الآية الأولى، فإن الله يقول: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾، فالظرف هنا لإلوهيته، يعني: أن
 إلوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض، كما تقول: فلان أمير في المدينة ومكة، فهو نفسه في واحدة منهما،
 وفيهما جميعاً بإمارته وسلطته، فالله تعالى ألوهيته في السماء وفي الأرض، وأما هو عز وجل ففي السماء.
 أما الآية الثانية: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ فنقول فيها كما قلنا في التي قبلها: ﴿وهو الله﴾، أي: وهو
 الإله الذي ألوهيته في السماوات وفي الأرض، أما هو نفسه، ففي السماء. فيكون المعنى: هو المألوه في
 السماوات المألوه في الأرض، فألوهيته في السماوات وفي الأرض.

فتخرج هذه الآية كتخريج التي قبلها.
 وقيل المعنى: ﴿وهو الله في السموات﴾، ثم تقف، ثم تقرأ: ﴿وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾، أي أنه نفسه
 في السماوات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، فليس كونه في السماء مع علوه بمنع من علمه بسرهم
 وجهركم في الأرض.

وهذا المعنى فيه شيء من الضعف، لأنه يقتضي تفكيك الآية وعدم ارتباط بعضها ببعض، والصواب الأول: أن
 نقول: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾، يعني أن ألوهيته ثابتة في السماوات وفي الأرض، فتطابق
 الآية الأخرى .

وقوله ^(١) : { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

(١) من هنا إلى قوله (والله مع الصابرين) فيه الكلام على صفة المعية لله , وأهل السنة يشبّون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .

– والمعية نوعان :

١/ معية عامة : وهي لجميع الخلق المؤمن والكافر , فإن الله معهم بعلمه وقدرته , ويدل لها الآية الأولى والثانية , وهي صفة ذاتية .

٢/ معية خاصة : وهي لرسله وأوليائه , فإن الله معهم بنصره وتأنيده وتوفيقه , ويدل لها باقي الآيات , وهي صفة فعلية .

– معنى صفة المعية :

١/ أكثر السلف يفسرون المعية بلازمها وهو العلم والسمع والبصر والقدرة ونحو ذلك .

٢/ اختار شيخ الإسلام وهو اختيار العثيمين أنها على ظاهرها معية حقيقية تليق به سبحانه , إضافة إلى تفسيرها بلازمها .

والقول الثاني أقرب للصواب ولا محذور في ذلك , قال شيخ الإسلام في الحموية ص ٥١٩ : (ذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى : (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي في حديث الأوعال (والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) .

وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة) .

وقال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن يفسر المعية بمعية العلم (اعلم أن من الناس من سلك هذا

المسلك في نفس " المعية " ويقول : إنه محمول على ما دل عليه السياق , وإن كان خلاف ظاهر الإطلاق أو محمول على خلاف الظاهر لدلالة الآيات أن الله فوق العرش ويجعل بعض القرآن يفسر بعضا .

لكن نحن بينا أنه ليس في ظاهر المعية ما يوجب ذلك ؛ لأننا وجدنا جميع استعمالات " مع " في الكتاب

والسنة لا توجب اتصالا واختلاطا , فلم يكن بنا حاجة إلى أن نجعل ظاهره الملاصقة ثم نصرفه (مجموع الفتاوى ٢٢/٦ – ٢٣) .

وقال ابن إبراهيم في فتاواه ١٨٢/١ لما سئل عن معنى قول بعض السلف: معهم بعلمه؟ : (إذا جاءت هذه الكلمة فهي تفسير للمعية بالمقتضى ليست تفسيراً لحقيقة الكلمة. والذي يحمل ويحدو على التفسير بهذا أن المنازع

الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ { [سُورَةُ الْحَدِيدِ : ٤]

- { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ { [سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ : ٧]

وقوله : { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } [سُورَةُ التَّوْبَةِ : ٤٠]

- { إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى } [سُورَةُ طه : ٤٦]

- { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } [سُورَةُ النَّحْلِ : ١٢٨]

في هذا المبتدعة الذين يقولون أنه مختلط بهم، فيأتي البعض من السلف بالمراد بالسياق وهو أنه بكمال علمه، ولكن لا يريدون أن كلمة (مع) مدلولها بكل شيء عليم، بل اجتمعت معها في العلم وزادت المعية بالمعنى وهو كونه معهم، فتفسيرها بالمقتضى لا يدل على أن معناها باطل، فالكل حق، ولا يثبت ما سيق الشيء من أجله إلا من أجل ما سيق، لا يثبت المدلول إلا بعد ثبوت الدليل، فلا يثبت العلم إلا بعد ثبوت المعية - وهي المقارنة المطلقة - وهي تختلف باختلاف مواردها، فقد يكون الشيء مع الشيء وبينهما من المسافة الشيء الكثير. فمعية الله شيء، ومعية الخلق شيء، ومعية الخلق بعضهم مع بعض شيء... (تقرير الحموية).

ولهذا شيخ الإسلام في عقيدته الأخرى المباركة المختصرة بين أن قوله: (مَعَهُمْ) حق على حقيقته. فمن فسرهما من السلف بالمقتضى فلحاجة دعت إلى ذلك وهي الرد على أهل الحلول الجهمية الذين ينكرون العلو كما تقدم. والقرآن يفسر بالمطابقة وبالمفهوم والاستلزام والمقتضى وغير ذلك من الدلالات. وهؤلاء العلماء الذين روي عنهم التفسير بالمقتضى لا ينكرون المعية بل هي عندهم كالشمس..... (تقرير الحموية أيضاً).

- خالف المبتدعة الحلولية في صفة المعية فقالوا إن معنى المعية أن الله معنا بذاته في كل مكان، وشبهتهم بظاهر اللفظ في قوله [وهو معكم] فقالوا لا نفهم من المعية إلا المخالطة والرد عليهم :

١/ أن ظاهر النصوص ليس كما قلتم إذ لو كان كذلك لكان مناقضا لعلو الله واستواءه على عرشه .

٢/ قولكم إن معنى المعية المخالطة فقط باطل لأن المعية في اللغة اسم لمطلق المصاحبة وقد تقتضي الاختلاط وقد تقتضي المصاحبة بدون اختلاط فهي بحسب ما تضاف إليه كما ذكر شيخ الإسلام .

٣/ أن وصفكم الله بهذا من أبطل الباطل وأشد التنقص لله .

٤/ أنه يلزم منه أن يكون الله حالاً في الخلق ، فكل مكان في الخلق فالله تعالى فيه وهذا باطل ومقتضى هذا القول الكفر .

٥/ أن هذا القول مخالف لإجماع السلف ، فما فسرهما أحد منهم بذلك .

- { وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [سُورَةُ الْأَنْفَالِ : ٤٦]
- { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [سُورَةُ
الْبَقَرَةِ : ٢٤٩]

وقوله (١) : { وَمَنْ أَضَنُّكُمْ } وقوله (١) :

(١) من هنا إلى قوله (ماذا أجبتكم المرسلين) فيه الكلام على صفة الكلام لله ، وأهل السنة يشبّهون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .

وخلاصة مذهب أهل السنة في صفة الكلام : أن الكلام صفة لله قائمة بذاته ، يتكلم بها بمشيئته وقدرته متى شاء ، بحرف وصوت ، وأنها قديمة النوع (صفة ذاتية) حادثة الآحاد (صفة فعلية) ، فإن (السلف وأئمة السنة ... يقولون انه صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته) مجموع الفتاوى ٢١٩/٦ ، ١٦٩/١٣ .

وخالف في ذلك المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم ، فالمعتزلة والجهمية قالوا (إن الكلام خلقه الله منفصلاً عنه مثل ناقة الله ، بيت الله فهو مخلوق) ، والأشاعرة والكلابية قالوا (إن الكلام معنى موجود في نفس الله وليس كلاماً حقيقياً له حروف وأصوات ، وإنما يتنوع بحسب إرادة الله حين يلقيه في روع جبريل فقد يريد أن يكون قرآناً أو يريد أن يكون تورا أو يريد أن يكون إنجيلاً أو يريد أن يكون أمراً أو يريد أن يكون نهيّاً وهكذا) .

استدل المعتزلة على منهجهم بأدلة منها :

- ١/ قوله تعالى [الله خالق كل شيء] والقرآن شيء فيكون داخلياً في هذا العموم .
- وأجيب : أ - بأن عموم كل في كل موضوع بحسبه كما في قوله [تدمر كل شيء بأمر ربها] ولم تدمر مساكنهم ونحوها ، وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالرياح عادة .
- ب - كما أن الله شيء ولا يقولون بأنه مخلوق بهذا العموم .
- ج - كما أن أفعال العباد عندهم غير مخلوقة مع كونها داخلية في العموم فأخرجوها من عموم كل وأدخلوا كلام الله في عمومها مع كونه صفة من صفاته وطرد باطلهم دخول جميع الصفات في عموم كل فتكون مخلوقة .
- ٢ - واستدلوا بقوله [إنا جعلناه قرآناً عربياً] وقالوا جعل بمعنى خلق .
- وأجيب : بأنها تكون كذلك إذا كانت تتعدى إلى مفعول واحد كما قال تعالى (وجعل الظلمات والنور) أي خلق ، أما إذا تعدت إلى مفعولين فلا تكون بمعنى خلق كما قال تعالى [وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً] أي صيرتم . وانظر: شرح الطحاوية ص ١٨٢ .

٣ - وأما قولهم بأنه يلزم من ذلك قيام الحوادث به فيقال هذا كلام مجمل فإن أريد به قيام الصفات به فحق لا ينكر ولم ينكره أحد قبلكم من السلف ، وإن أريد به غير ذلك فلا نسلم لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٤ - وأما قولهم يلزم منه التجسيم والتشبيه فيجاب بأنه إذا قلنا يتكلم بما يليق بجلاله انتفت شبهتهم كما أن الأيدي والجلود والخصى تتكلم بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة المعتمد على مخارج الحروف كما قال تعالى [وتكلمنا أيديهم ..] ، فإذا انتفت المشابهة بين المخلوق والمخلوق فانتفاؤها بين الخالق والمخلوق من باب أولى .

- وأما قول الأشاعرة فلازمه :

١- أن معنى قوله [ولا تقربوا الزنى] هو معنى قوله [وأقيموا الصلاة] .

٢- ويقال لهم هل موسى سمع جميع كلام الله أم بعضه فإن قالوا سمعه كله فقد زعموا أنه سمع جميع كلام الله وهذا فاسد وإن قالوا بعضه فقد قالوا إن الكلام يتبع مع كونهم ينفون ذلك . (ينظر : درء التعارض ٩٠/٢-٩٢)

٣- ويجب عن قولهم أيضاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به] ففرق بين حديث النفس والكلام .

٤- ويرد عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم [إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ..] وقد اتفق العلماء على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك .

٥- ثم إن قولهم هذا قول بخلق القرآن فيرد عليه ما يرد عليه ويجاب عنه بمثل ما أجيب عن القول بخلق القرآن وهو قول المعتزلة .

- وأما استدلال الأشاعرة على ذلك بقول الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً .

فيجاب بأن البيت منسوب للأخطل وليس موجوداً في ديوانه ، وقيل إنما قال [إن البيان لفي الفؤاد ..] وهذا أقرب للصحة لأن البيان يصح أن يكون في الفؤاد بخلاف الكلام ، وعلى تقدير صحته عن الأخطل فلا يجوز الاستدلال به فإنه نصراني و النصارى ضلوا في معنى الكلام حيث جعلوا عيسى عليه السلام من كلام الله فلا يؤخذ منهم هذا الاعتقاد .

وأيضاً فمعناه غير صحيح إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام به بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه . كما يرد على ذلك الحديث المتقدم واللوازم المذكورة .

والخلاف في كلام الله يدور حول أصليين :

هل كلام الله واقع بمشيئته واختياره وقدرته أو بغير ذلك .

هل كلام الله قائم بذاته ومتصف به أو خارج عنها .

فمن قال إن كلامه واقع بمشيئته أهل السنة والجمهورية والمعتزلة وغيرهم على اختلاف بينهم في أصول أخرى في الكلام .

ومن قال إنه بغير مشيئته الكلامية والأشعرية .

ومن قال إنه قائم بذاته متصف به أهل السنة والكلامية والأشاعرة .

ومن قال إنه خارج عن ذاته منفصل عنه الجهمية والمعتزلة .

- مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا^(١) { [سُورَةُ النَّسَاءِ : ٨٧]
- { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^(٢) } [سُورَةُ النَّسَاءِ : ١٢٢]
- { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ^(٣) يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ { [سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ١١٦]
- { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ١١٥]
- { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا^(٤) } [سُورَةُ النَّسَاءِ : ١٦٤]
- { مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٥٣]
- { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ^(٥) } [سُورَةُ الْأَعْرَافِ : ١٤٣]

- { وَنَادَيْنَاهُ^(٦) مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا } [سُورَةُ مَرْيَمَ : ٥٢]
- { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ : ١٠]
- { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ } [سُورَةُ الْأَعْرَافِ : ٢٢]
- { وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } [سُورَةُ الْقَصَصِ : ٦٥]

(١) والحديث هو الكلام .

(٢) والقول هو الكلام .

(٣) هذا القول يكون يوم القيامة ، ففيه دلالة على أن كلام الله متجدد .

(٤) فيه دلالة على أن المراد الكلام الحقيقي وليس المجازي ، لأن العرب لا تؤكد بالمصدر إلا إذا أرادت

المعنى الحقيقي .

(٥) ويفهم منه أنه حين جاء كلمه ولم يكلمه قبل ذلك مما يدل على كونه صفة فعلية تتعلق بمشيئته ، كما تفيد هذه الآية أنه كلمه بصوت إذ لو لم يكن كذلك لما سمع موسى ، وهي رد على القائلين بالكلام النفسي وهم الأشاعرة حيث يقولون إنه معنى واحد ولو كان كذلك لكان موسى سمع كل كلامه عند الميقات ولا قائل به .

(٦) جميع الآيات التي فيها النداء والمناجاة تدل على أنه كلام بصوت ، (والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق

أهل اللغة وسائر الناس) . منهاج السنة ٤٢٣/٥ .

وفيه رد على الأشاعرة الذين يقولون إنه كلام نفسي بدون صوت .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (يقول الله يا آدم فيقول لبيك

وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) أخرجه البخاري رقم (٧٠٤٥) .

(١) {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ

(١) من هنا إلى قوله (هم فيه يختلفون) فيه الكلام على أن القرآن هو كلام الله ، وهذه المسألة فرع عن المسألة السابقة وهي إثبات أن الله يتكلم ، وأهل السنة يشبّون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .
وقد أخرج أبو داود رقم (٤٧٣٤) ، والترمذي رقم (٢٩٢٥) ، وابن ماجه رقم (٢٠١) عن جابر بن عبد الله قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال : ألا رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) .
وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٤٧) .

وقد عرّف أهل السنة القرآن بأنه : (كلام الله حروفه ومعانيه المتّـل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته منه بدأ وإليه يعود) .

فقولهم : (كلام الله) : أي هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ، وهو صفة له غير مخلوق ، وفيه رد على من قال إن القرآن مخلوق كما تقوله المعتزلة ، لأن الله يقول { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } [سُورَةُ الْأَعْرَافِ : ٥٤] والواو تقتضي المغايرة فتدل على أن الخلق غير الأمر ، والقرآن دل الدليل على أنه من الأمر وليس من الخلق في قول الله جل وعلا { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [سُورَةُ الشُّورَى : ٥٢] وهذا هو القرآن فجعله من الأمر .

وقولهم : (حروفه ومعانيه) : أي أن ألفاظ القرآن من الله ، كما أن معاني القرآن من الله ، وليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف .

وقولهم : (المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم) : فيه إخراج التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة من عند الله غير القرآن .

وقولهم : (المتعبد بتلاوته) : فيه إخراج الحديث القدسي .
وقولهم : (منه بدأ) : يعني : أن الله هو الذي تكلم به ابتداءً ، لم يُبتدأ من غيره ، ويحتمل أن يكون من البدو؛ بمعنى الظهور؛ يعني أنه هو الذي تكلم به وظهر منه ، لم يظهر من غيره .

ويعني ذلك أنه تلقاه جبريل عليه السلام من الله جل وعلا سماعاً ، ولم يأخذه جبريل من اللوح المحفوظ كما هو قول طائفة من المبتدعة ، ولم يعبر به جبريل عن كلام الله جل وعلا النفسي كما هو قول طائفة أو أنه حكاية وعبرة عن كلام الله .

(قول السلف : منه بدأ ، لم يريدوا به أنه فارق ذاته وحل في غيره ؛ فإن كلام المخلوق ، بل وسائر صفاته ، لا تفارقه وتنقل إلى غيره ، فكيف يجوز أن يفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته ؟ ! بل قالوا : منه بدأ ، أي : هو المتكلم به رداً على المعتزلة والجهمية وغيرهم ، الذين قالوا : بدأ من المخلوق الذي خلق فيه . وقولهم : إليه يعود ، أي يسري عليه ، فلا يبقى في المصاحف منه حرف ، ولا في الصدور منه آية) مجموع الفتاوى ٢٧٤/١٢ .

الله {سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٦}

{ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ^(١) ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٧٥] , { يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ } [سُورَةُ الْفَتْحِ: ١٥] , { وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا

(و الذي اتفق عليه السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق و قال غير و احد منهم منه بدأ و إليه يعود قال أحمد بن حنبل و غيره منه بدأ أي هو المتكلم به لم يبتدأ من غيره كما قالت الجهمية القائلون بأن القرآن مخلوق قالوا خلقه في غيره فهو مبتدأ من ذلك المحل المخلوق) . مجموع الفتاوى ١٧ / ٨٣

وقولهم : (و إليه يعود) : يعني في آخر الزمان يعود القرآن إلى الله جل و علا , لأنه أنزل للعمل به ولأخذه بقوة , فإذا رغب جميع الخلق عنه ولم يعودوا إليه أسري به إلى الله جل و علا حتى لا يبقى منه في الأرض آية , فعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب , حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك , ولا صدقة , وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية , وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها) فقال له صلة ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة . ثم ردها عليه ثلاثاً . كل ذلك يعرض عنه حذيفة . ثم أقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٠٤٩) , والحاكم رقم (٨٤٦٠) قال ابن حجر : (بسند قوي) الفتح ١٣ / ٢١ , وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٨٧) .

وعن ابن مسعود قال : (إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة وليصلين قوم لا دين لهم ولينترعن القرآن من بين أظهركم قالوا : يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يسرى على القرآن ليلا فيذهب به من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء) . أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٨٧٠٠) , وقال ابن حجر : (سنده صحيح لكنه موقوف) الفتح ١٣ / ٢١ , وقال في مجمع الزوائد : (رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة) ٦٣٤ / ٧ . قلت : وهو موقوف له حكم الرفع .

(١) قال العنيمين في شرح الواسطية ٤٣٣ / ١ : (يحتمل أن يراد به القرآن , وهو ظاهر صنيع المؤلف , فيكون دليلاً على أن القرآن كلام الله .

ويحتمل أن يراد به كلام الله تعالى لموسى حين اختار موسى سبعين رجلاً لميقات الله تعالى , فكلمه الله وهم يسمعون , فحرفوا كلام الله تعالى من بعدما عقولهم وهم يعلمون , ولم أر الاحتمال الأول لأحد من المفسرين .

وأيا كان ؛ ففيه إثبات أن كلام الله بصوت مسموع , والكلام صفة المتكلم , وليس شيئاً بائناً منه؛ فوجب أن يكون القرآن كلام الله لا كلام غيره) .

مُبْدَل لِكَلِمَاتِهِ { [سُورَةُ الْكَهْفِ : ٢٧] , { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [سُورَةُ النَّمْلِ : ٧٦]

- (١) { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٩٢]
- { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [سُورَةُ الْحَشْرِ : ٢١]
- { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [سُورَةُ النَّحْلِ : ١٠١ - ١٠٣]

(١) من هنا إلى قوله (لسان عربي مبين) فيه الكلام على أن القرآن منزل من عند الله ، وأهل السنة يشبّون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .
ولفظ (النزول) في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع نزول مقيد بأنه منه ، ونزول مقيد بأنه من السماء ، ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا .

فالأول لم يرد إلا في القرآن كما قال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) وقال تعالى (نزله روح القدس من ربك بالحق) وقال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ... وكذلك قوله (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وكذلك (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) ... ولهذا قال السلف القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدأ قال أحمد وغيره واليه يعود أي هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن منه أي لم يخلقه في غيره فيكون مبتدأ متزلاً من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدأ لا من مخلوق فهو الذي تكلم به لخلقه .
وأما النزول المقيد بالسماء فقوله (وأنزلنا من السماء) ...

وأما المطلق ففي مواضع منها ما ذكره من إنزال السكينة بقوله (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) وقوله (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) إلى غير ذلك ... (مجموع الفتاوى ١٢/٢٤٧ -

وقوله {وَجُوهٌ} (١):

(١) من هنا إلى قوله (ولدينا مزيد) فيه الكلام على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة , وأهل السنة يشبتون ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه .
- وهذه المسألة من أدخلها في صفات الله فمن باب هل يوصف الله بأنه يُرى أم لا ؟ وقيل لدلائلها على صفة العلو لله سبحانه .

ومن لم يدخلها في نصوص الصفات فمن باب هل المؤمنين يمكن أن يروا الله أم لا ؟
وإنما ذكرت في مباحث الصفات لأنها محل نزاع , ولأن نفاة الرؤية هم نفاة الصفات .
- والكلام هنا في مسائل :

أولاً : رؤية المؤمنين لله في الجنة (وهي المقصودة عند إطلاق الخلاف بين أهل السنة وغيرهم في الرؤية) :
(مذهب أهل السنة إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة حقيقة بغير إحاطة) لما ذكره المصنف من النصوص , وأدلة ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

ومن نصوص السنة في إثبات ذلك ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك ...) . أخرجه البخاري رقم (٤٣٠٥) , ومسلم رقم (١٨٢) .
وعن جرير بن عبد الله قال كنا جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : (أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها } . أخرجه البخاري رقم (٦٩٩٧) , ومسلم رقم (٢١١) .

قال ابن كثير في التفسير ٤٦٩/٣ : (قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة) .

وعد ابن تيمية وابن حجر أن من أمثلة المتواتر نصوص رؤية الله في الآخرة (انظر : مجموع الفتاوى ٢٨٨/١ , الفتح حديث ١١٠) .

ونقل الإجماع على ذلك . (انظر : الرد على الجهمية للدارمي ص ١٢٢ , الإبانة ص ٦٥ , شرح النووي على مسلم ١٤/٣ , مجموع الفتاوى ٥١٢/٦)

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٥١٢/٦ : (أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم ولم يتنازعوا إلا في النبي صلى الله عليه وسلم) .
- معنى رؤية الله : هي رؤية حقيقية ببصر العين عند أهل السنة .

- وخالف أهل البدع في رؤية الله في الآخرة : فمنهم من نفى الرؤية مطلقاً , ومنهم من أثبتها بتأويل كالأشاعرة ولكن قال إنما ليست حقيقية , فقال بعضهم الرؤية هي العلم بالله , وقال بعضهم هي نوع من

الكشف , وقيل غير ذلك . (انظر : فتح الباري حديث رقم (٧٠٠٠)) .

أما من خالف في معناها فقد سبق الإشارة إليه , وأما من نفاها فهم الجهمية والمعتزلة ويمكن اعتبار الأشاعرة من النفاة (لأنهم قالوا : تثبت الرؤية بلا جهة وهو عبث ومؤداه نفي الرؤية فلذا اعتبرناهم نفاة) واستدلوا بأدلة منها :

١/ قوله تعالى لموسى [لن تراني] ولن للنفي المؤبد ، والرد عليهم من وجوه :
أ- منع كون لن للتأييد كما قرره ابن هشام في مغني اللبيب وقال ابن مالك في كافيته - وهي أوسع من الألفية - :

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقله اردد وسواه فاعضدا
ب - أن موسى لم يطلب الرؤية في الآخرة وإنما طلب الرؤية في الدنيا لقوله [أرني أنظر إليك]
والحال البشرية لا تستطيع تحمل رؤية الله ولذا قال تعالى [ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ..] .
ج - أن الله سبحانه علق إمكان رؤيته على أمر ممكن وهو جعل الجبل مستقراً مما يدل على إمكان الرؤية لولا عجز البشر عن احتمالها .

د - أنه لا يظن بكليم الله وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه ولو كان ذلك منكراً لأنكر الله عليه كما أنكر على نوح سؤاله نجاة ابنه فقال [إني أعظك أن تكون من الجاهلين] .
وغير ذلك من الأوجه التي أوصلها شارح الطحاوية إلى سبعة وهي دالة على أن الآية دليل عليهم لا لهم .
٢/ ومن أدلتهم قوله تعالى [لا تدركه الأبصار]

وأجيب : بأن الآية فيها نفي الإدراك ، والرؤية لا تستلزم الإدراك لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية فتكون الآية دليلاً عليهم لأن نفي الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية فنفي الأخص يدل على وجود الأعم ، فنفي الله الإدراك ولم ينف الرؤية .

- وقالوا إن نصوص السنة في إثبات الرؤية هي أخبار آحاد ولا يحتج بها في العقيدة .
- وقالوا لو كان الله يرى لكان جسماً والجسم ممتنع عن الله لأنه يستلزم التشبيه .
والجواب عليهم : أن الله ليس كمثله شيء ، ولو كان إثبات الرؤية يستلزم التجسيم فليكن ، مع كونه لا يماثل أجسام المخلوقين على أن القول بالجسم نفياً وإثباتاً مما أحدثه المتكلمون وليس في الكتاب والسنة نفيه ولا إثباته ، فلا تثبته ولا نفيه بل نستفصل عن معناه فنثبت معناه اللائق بالله كما تقدم .

- أما تأول المعتزلة ونحوهم من الأشاعرة للرؤية الواردة في النصوص بأنها العلم فبطلان ذلك معلوم لمصادمته النصوص الصريحة بأن المراد بها الرؤية البصرية فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر .. [قال شارح الطحاوية ابن أبي العز : فإذا سلط التأويل على مثل هذا النص فكيف يستدل بنص من النصوص ؟ وهل يحتمل هذا النص أن يكون معناه إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون القمر ليلة البدر] أ . هـ .

- وأما تأويلهم قوله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] أنها منتظرة لعطاء ربما فما أبطله وذلك من

وجوه :

- ١- أنه أضاف النظر إلى الوجه وهو محله .
 - ٢- وعداه بـ(إلى) الصريحة في نظر العين .
 - ٣- وأخلاه عن قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه .
- وأما الانتظار فإنما يكون بدون تعديه كقوله تعالى [انظرونا نقتبس من نوركم] .

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٣٣٦/٢ : (والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال
فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانا وأن أحدا لا يراه في الدنيا

بعينه ...

والقول الثاني قول نفاة الجهمية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة
والثالث قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة) .

ثانياً : رؤية أهل المحشر لله في الآخرة :

فيه خلاف على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له , وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين
وعليه يدل عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم , واختاره النووي وابن حجر .
الثاني : أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة
القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة وقد ذكر
القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور .
الثالث : أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب كاللص إذا رأى السلطان ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم
ويشتد عقابهم وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن
حنبل وأبي سهل بن عبد الله التستري , وهذا مقتضى قول من فسر اللقاء في كتاب الله بالرؤية , ورجحه ابن القيم

انظر : مجموع الفتاوى ٤٨٧/٦ , شرح الطحاوية ص ٢٢١ .

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٥٠٢/٦ : (ثم إن هذا النوع من الرؤية الذي هو عام للخلائق قد يكون
نوعاً ضعيفاً ليس من جنس الرؤية التي يختص بها المؤمنون فإن الرؤية أنواع متباينة تبايناً عظيماً لا يكاد ينضبط
طرفها) .

ثالثاً : رؤية الله في الدنيا :

يَوْمَئِذٍ^(١) نَاصِرَةٌ {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}^(٢) [سُورَةُ الْقِيَامَةِ: ٢٢-٢٣]

١/ رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا ليلة الإسراء :

اختلف السلف في ذلك على أربعة أقوال :

(١) نفي رؤيته مطلقاً , وينسب لعائشة وابن مسعود , وحكى عثمان الدارمي اتفاق الصحابة على

ذلك (انظر : شرح الطحاوية ص ٢٢٤) .

(٢) أنه رآه بفؤاده , وينسب لابن عباس والإمام أحمد وشيخ الإسلام وابن أبي العز الحنفي والشنقيطي .
ومعنى رآه بفؤاده : (أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه ... ولكن هذا التجلي يحصل بوسائط بحسب إيمان العبد ومعرفته وحببه ولهذا تتنوع أحوال الناس في ذلك كما تتنوع رؤيتهم لله تعالى في المنام فيراه كل إنسان بحسب إيمانه ويرى في صور متنوعة) مجموع الفتاوى ٤٩٢/٥ , وقيل غير ذلك .

وقال السمعاني في تفسيره ٢٨٨/٥ : (وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده , فإن قال قائل : المؤمنون يرونه بفؤادهم , وليس ذلك إلا العلم به فما معنى تخصيص النبي ﷺ .

والجواب أنهم قالوا : إن الله تعالى خلق رؤية لفؤاده فرأى بفؤاده مثل ما يرى الإنسان بعينه) .

(٣) أنه رآه بعينه , وينسب لابن عباس (والصواب أنه لا يثبت عنه , انظر : مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ , شرح الطحاوية ص ٢٢٣) والإمام أحمد (والصواب أنه لا يثبت عنه , انظر : مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦) والنووي وابن حجر .

(٤) التوقف في المسألة , وبه قال القرطبي في شرح مسلم والقاضي عياض .

٢/ رؤية غير النبي ﷺ لربه في الدنيا :

اتفق السلف على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه . انظر : مجموع الفتاوى ٥١٢/٦ , شرح الطحاوية ص ٢٢٢ .

(١) هذه الآية تحتل النظر في المحشر , وتحتل النظر في الجنة , وعلى كل حال فهي دالة على النظر في يوم القيامة وليس في الدنيا .

(٢) الجار والمجرور متعلق باسم الفاعل (ناظر) فيكون المعنى (ناظرة إلى ربها) , والنظر هنا المراد به النظر بالبصر لأن (النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه :

١/ فإن عدي بنفسه فمعناه : التوقف والانتظار : { انظرونا نقتبس من نوركم } .

٢/ وإن عدي بـ (في) فمعناه : التفكير والاعتبار كقوله : { أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض }

٣/ وإن عدي بـ (إلى) فمعناه : المعاينة بالأبصار كقوله تعالى : { انظروا إلى ثمره إذا أثمر } (انظر : شرح

الطحاوية ص ٢٠٩ .

- { عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ }^(١) [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ : ٢٣]
- { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ }^(٢) [سُورَةُ يُونُسَ : ٢٦]
- { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }^(٣) [سُورَةُ ق : ٣٥]

وهذا الباب في كتاب الله كثير من تدبر القرآن طالبا للهدى منه ^(٤) تبين له طريق الحق ^(٥) .

-
- (١) هذه الآية خاصة بالنظر في الجنة , بدليل كلمة (الأرائك) .
 - والنظر هنا يحتمل أمرين :
 ١/ أن يُعدى بنفسه فيكون معناه الانتظار .
 ٢/ أن يُعدى بـ (إلى) ولكنها حذفت لتعم جميع أنواع النظر السار .
 والمعنى الثاني هو المتعين لأن الإنتظار لا يُناسب نعيم أهل الجنة في سرعة حصول ما يرغبون , وكوهم ينتعمون بكل ما يسر النظر إليه هو المناسب لحالهم .
 (٢) جاء تفسير الزيادة بالرؤية في حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة , قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }) أخرجه مسلم رقم (١٨١) .
 (٣) وقد فسر بعض السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم المزيد بأنه النظر إلى وجه الله .
 وقد يقال (مزيد) لفظ عام ويدخل النظر إلى الله دخولاً أولياً فيه , لأنه أعظم مزيد في الجنة .
 (٤) هذا يدل على أن من الناس من يتدبر القرآن ولكن ليس على طلب الهدى منه ولكن لطلب التأويل والاعتساف والتحريف وهذا حاصل عند أهل الأهواء المضلة .
 (٥) وذلك (أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته) مجموع الفتاوى ١٠٢/٥ .

فَصَلِّ : ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالسُّنَّةُ تَفْسِرُ الْقُرْآنَ ، وَتُبَيِّنُهُ ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَتَعْبِرُ عَنْهُ ^(١) .

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ ^(٢) ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ ^(٣) .

(١) (و قد اتفق الصحابة و التابعون لهم بإحسان و سائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن و تبينه و تدل عليه و تعبر عن مجمله و أنها تفسر مجمل القرآن من الأمر و الخير) مجموع الفتاوى ٤٣٢/١٧ .

(٢) فيشمل ذلك أحاديث الآحاد والمتواتر .

(٣) فكما يجب الإيمان بنصوص القرآن كذلك يجب الإيمان بنصوص السنة , وذلك أن (الأحاديث جاءت في هذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث كما أن أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله مع تفسيرها لمجمله ومع ما فيها من الزيادات التي لا تعارض القرآن فإن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه الكتاب والحكمة) درء التعارض ١٤٦/٢ .